اختـــلاف المزاج
وأثره فى الأفراد والأمم
وفى السياسة العامة

اذا راجعت معظم أسباب حوادث الطلاق التى تنشرها الصحف الانكليزية، وجدت أن فى مقدمتها اختلاف المزاج، وهو ما يعبرون عنه بقولهم (incopatibility of temperament) ، ولا نفهم تماماً كيف يؤدى اختلاف مزاج الزوجين الى تنغيص عيشتهما حتى يطلبا الخلاص منه بالافتراق .

نريد أن نقول : هل اذا كان الزوجان من أهل المزاج العصبي يكونان أقرب الى الاختصام مما لو كان الواحد عصبياً حامياً والآخر بلغمياً بارداً ؟

قد يخيل إليك لأول وهلة أن الأمر كذلك ، أى أن العصبي سريع الانفعال اذا لقى عصبياً مثله تطاحنا وتقاتلا حتى يغلب أحدهما الآخر . ويبقى ذلك دينهما حتى يفرق بينهما تفريقاً لا اجتماع بعده .

ولكن العكس صحيح أيضاً . أى أن العصبي — وحدته ونزقه معروفان — لا يطيق أن يرى أمامه بلغمياً بارد الطبع ، لأن الأول شعاره السرعة والثانى البطء ، فيؤدى اختلافهما هذا الى تخاصمهما بشدة لا تقل عن شدة تخاصم الأولين .

وصحيح كذلك أن العصبي حاد المزاج يطلب تنفيذ إرادته بلا تهاون ، فاذا لقى أمامه صفراوياً أو بلغمياً بطىء الانفعال والتأثر فالغالب أنهما لا يعارضانه فيتم له ما يريد بلا خلاف ولا احتكاك ولا قتال

ويظهر أن هذا الحكم الأخير هو الرائج فى السياسة ، فقد تبدلت محالفات الأمم المختلفة المزاج وتغيرت ، وبقيت محالفات الأمم المتشابهة الأمزجة . فمن القبيل الأول محالفات أوربا فى القرن الماضى كالمحالفة الثلاثية بين ألمانيا والنمسا وإيطاليا ، والمحالفة الثنائية بين فرنسا وروسيا . فقد زالت هاتان المحالفتان ولم يبق لهما أثر .

ومن القبيل الثانى تحالف بلدان ألمانيا وتحالف ولايات أميركا. وهما تحالفان يبقيان على الدهر لأن « الدم أكثف من الماء » كما يقول المثل الانكليزى . وعلى هذه النظرية يقدرون تحالف الأمتين الانجلوسكسونيتين فى مستقبل الزمان — أريد بهما أميركا وبريطانيا .

وقد وجد الانكليز والفرنسويون بالاختبار الطويل أن كل سعى فى التقريب بين الأمتين نجح حتى حين ، ثم لم يلبث ان فشل لأن مزاج الأولين الصفراوى مضاد لمزاج الأخيرين العصبي . ومن ذلك كانت سلسلة حروبهما الطويلة التى بلغت أقصاها فى عهد نابليون ، ثم انتهت حروب نابليون ولم ينته عداؤهما . وقد تمكن الملك ادورد السابع بكياسته وحسن سياسته من عقد الاتفاق الودادى بينهما ، وظهر أن هذا الوداد ازداد توثقاً بتحالف الأمتين فى الحرب العالمية وانضمام أميركا إليها بعد ما تلكأت نحو ثلاث سنوات عنها . ثم لما انتهت الحرب اذا هما حيث كانتا فى تاريخهما الطويل — أمتان دائمتا النفار اذا اصطلحتا اليوم فلتختصما غداً .

وهذا شأن الفرنسويين مع أميركا ، ولكن بعد الشقة بينهما وقلة تصادم المصالح حالا دون بروز وجوه الخلاف . وحالت « مديونية » فرنسا لأميركا دون إبداء مزاجها العصبي ، وكانت خير شكيمة لتمادى جماحها على رجاء ان حسن سلوكها وكظم مزاجها العصبي واحلال المجاملة محل المخاشنة — تؤدى كلها الى تجاوز أميركا عن ما لها من الدين على فرنسا .

ولكن الأميركيين متصلبون فى عزمهم على ما يظهر تصلب شيلوك فى اقتضاء رطل اللحم من غريمه مما حمل فرنسا على التظاهر بشىء من الخلق العصبي الذى طالما أخفته المجاملة واللباقة والمجاملة . فلما احتفلوا بعيد لافايت فى الأسبوع الماضى أوعزوا الى وزير حربيتهم المارشال بتان العسكرى البيقرى أن يخطب فخطب عاتباً ، والعتاب أول درجات الخناق .

ذكر فى خطبته مقاتلة الجنود الفرنسوية تحت لواء وشنطن دفاعاً عن استقلال أميركا وما كان من الود القديم بينهما ثم نماه فقال ان الأمتين ليستا من الود الآن على ما كانتا فى قديم الزمان

ولكن هذا الغضب المتنع بقناع العتاب اللطيف والغمز الظريف ، لابد أن يكون صاحبه قد ندم عليه بعد ما وردت أنباء أميركا بأن الأميركيين لم ينسوا جميل لافايت، بل قاموا قومة رجل واحد يمقتون الاحتفالات فى جميع أرجاء فرنسا ، ويدعو مجلس